دیزیره سقال

مقامات

مقامات



۲۰۱۸

ديزيره سقال

مقامات



٢٠١٨

إلى يولا

في أسمى مَقام للعِشْق

ارتفاع

يَنْزَلِقُ وَجْهُكِ مِنْ بَيْنِ المسامّ
عَميقًا... عَميقًا...
يَسْكُنُني
رَهْجًا مِنْ غِناءِ الملائِكَةِ،
فرَحًا كونيًّا،
أَوْ...
هاجِسًا عَميقًا بِلَوْنِ الحَنينِ.

أَتَسَلَّلُ مِنْ فَخِّ الصَّمْتِ إِلَيْكِ
بَوْحًا أَليفًا... كَقَلْبِكِ الأَليفِ...
يَطيرُ بي هَمْسُكِ الدّافِئُ
إِلى قارَّةِ الدَّهْشَةِ وَالذُّهولِ...
أَتَسَلَّلُ إِلَيْكِ خارِجَ ذاتي/
خارِجَ ذاتِكِ

نَحْوَ عَبيرٍ أَعْمَقَ مِنَ الضَّوْءِ،
وَنَسْرُقُ مَعًا هَمَساتِ الزُّهورِ
أُرَصِّعُ بِها عَيْنَيْكِ
حَيْثُ أَرْحَلُ... حَتّى الغِيابِ!

وَجْهُكِ كَنيسَةُ الغَرابَةِ المضيئَةِ،
عَيْناكِ هَمْسُ الرَّغْبَةِ في الأَلَقِ،
وَجِسْمُكِ العُبورُ...

بَيْني وَبَيْنَكِ عَوالِمُ وَقارّاتٌ...
بَيْني وَبَيْنَكِ صَحارى مِنْ لَيْلٍ وَتَعَبٍ
وَكُلُّ كُلُّ هَذا المدى...
لَكِنَّنا نَتَساكَنُ حَتّى الغِيابِ:
جَسَدي مَدى البَحْرِ المديدِ،
جَسَدُكِ السَّفينَةُ...

أَيَّتُها المُمْتَدَّةُ عَلى مَرْآيَ كَالصَّلاةِ،
أَيَّتُها الشَّيْطانَةُ القِدّيسَةُ،
لَوْ كانَ لي أَنْ أَرْحَلَ في عَيْنَيْكِ الزَّنْبَقِيَّتَيْنِ
أَقْطِفُ مِنْهُما باقاتِ الرَّغْبَةِ...
لَوْ كانَ لي أَنْ أَذوبَ عَلى شَفَتَيْكِ
نُقْطَةً مِنْ نَدى السِّحْرِ الطَّويلِ...
لَوْ كانَ لي... لَوْ كانَ لي...
أَنْ أَطيرَ إِلى سَديمِكِ البَرْبَرِيِّ
أَحْتَضِنَ الغَرابَةَ المضيئَةَ قَبَسًا مِنْ نورٍ،
وَأَجْثو في مَعْبَدِ رُؤْياكِ
حَيْثُ الضِّياءُ البِكْرُ مَلامِحي
وَأَبْجَدِيَّةُ الشِّعْرِ...

أَيَّتُها النّائِمَةُ في قَلْبي كَالحَنينِ الخَفِيّ،
كَيْفَ يَمُرُّ الفَجْرُ عَلى مَسامّي
وَلَسْتِ فيهِ؟

كَيْفَ يَنْسَدِلُ هُدوءُ اللَيْلِ عَلى عَيْنَيَّ
وَلَسْتِ فيهِ؟
كَيْفَ يَرْتَفِعُ بَخورُ الصَّلاةِ عَلى أَحْداقي
وَلَسْتِ فيهِ؟
أَيَّتُها النّافِرَةُ مِنْ قَلْبي كَنَزيفِ الطَّعْنَةِ الرّائِعَةِ
أَمُرُّ في بَراريكِ المسْتَوْحِدَةِ
مَنْفِيّةً إِلَيَّ... كَالقَدَرِ المفْتوحِ
وَنَسْكُنُ مَعًا قُصورَ النّورِ
حينَ يَصيرُ هائِمًا فينا
كَاللَيْلِ الغائِرِ في عَيْنَيْكِ البَرِّيَّتَيْنِ.

لَكِنْ
لِماذا يَحْضُرُني هَذا الغِيابُ المخيفُ
وَيَسْكُنُ مَسامّي عِنْدَ حافَّةِ الصَّمْتِ؟

آهِ، ٱسْتَسْلِمي!

وَانْتَظِري أَنْ يَهُلَّ الفَجْرُ الأَبْيَضُ مِنْ عَيْنَيَّ
يَغْرَقُ في لَيْلِ عَيْنَيْكِ البَرِّيَّتَيْنِ،
اسْتَسْلِمي...
بَيْني وَبَيْنَكِ كُلُّ هَذا المدى
وَكُلُّ كُلُّ هَذِهِ النّارِ
وَمَعَ ذَلِكَ تَسْكُنينَ جِلْدي/
أَسْكُنُ جِلْدَكِ
وَنَسْتَفيقُ مضعًا في حَدائقِ الأَلَقِ
كَنَجْمَتينِ عارِيَتَيْنِ في لُهاثِ الزَّهْرِ
أَوْ كَنَسْمَةٍ مِنْ أَريجِ الأُغْنِياتِ
حَيْثُ تَنْغَرِزُ الغَرابَةُ المضيئَةُ في الجِلْدِ،
حَيْثُ لا يَسْكُنُ إِلّا أَبْجَدِيَّةُ البَهاءِ.

احْتَرِقْ، أَيُّها الوَقْتُ عَلى جَسَدَيْنا المضيئَيْنِ،
احْتَرِقِ... احْتَرِقْ...

وَماذا لَوْ أَنَّ أَخْضَرَ الأَشْجارِ عَمَّدَني بِكِ،
لَوْ أَنَّ المدى ارْتَداني جِلْدًا وَصَوْتًا،
لَوْ أَنَّ الصَّدى صارَ أُنْشودَةً لِلْأَبَدِيَّةِ
تَنامُ في حَنْجَرَةِ العَصافيرِ حَوْلي...؟
ماذا لَوْ صارَ القَمَرُ بِلَّوْرَ الأُمْنِياتِ
وَالرَّغْبَةُ حَديقَةً لِشَجَرِ اللَذَّةِ المُلْتَمِعَةِ؟
ماذا لَوْ صِرْنا جَسَدَيْنِ فائِرَيْنِ
في سُهولِ النَّشْوَةِ الخَضْراءِ وَالثِّمارِ...؟
اسْتَسْلِمي!
بَيْني وَبَيْنَكِ أَريجُ الملائِكَةِ
وَكُلُّ كُلُّ هَذا البَهاءِ...
بَيْني وَبَيْنَكِ الفَضاءُ المَصوغُ في أَبْجَدِيَّةٍ
وَلُغَةُ الدَّهْشَةِ كَالسَّديمِ... أَوْ كَالجَسَدِ...
وَها أَنْتِ تَنْهَضينَ في آفاقي
رايَةً مُشِعَّةً... كَالقَدَرِ المَفْتوحِ،
مَدًى مِنْ لَوْنِ الأَناشيدِ وَرائِحَةِ الضَّوْءِ

حَيْثُ تَسْتَيْقِظُ النَسَماتُ كَلُهاثِ العاشِقينَ،
حَيْثُ نَرْتَفِعُ مَعًا كَبَخورِ الرَّغْبَةِ
إِلى فَضاءٍ يَسْكُنُ أَقاصينا،
لا شَيْءَ فيهِ سِوى البَهاءِ...!

(١١/ ٩/ ٢٠٠٣)

أقطف الدنيا من شفتيكِ الإلهيتين

– ١ –

أَيَّتُها المنْفَتِحَةُ عَلَيَّ مِنْ أَعْلى السَّمْتِ
وَتُشْرِقينَ عَلى الأَرْضِ خُيوطَ شَمْسٍ،
تَنْهَلّينَ قَمْحًا وَفيرًا/
لِماذا
كُلَّما ارْتَقَيْتُ إِلى وَهْجِكِ الرّائِعِ
أَضَعْتُكِ؟

يَسيلُ اللَيْلُ عَلى سُمْرَتِكِ، أَيَّتُها القادِمَةُ إِلَيَّ مِنْ حُقولِ الرُّؤْيا، وَيَسْتَيْقِظُ الأَثيرُ في لَيْلِ عَيْنَيْكِ/ اسْتَيْقِظي مِنْ فَجْرِكِ الدّافِقِ إِلى فَضاءِ الحَنينِ الطَّويلِ، وَٱنْفَرِطي عَلى مَدائنِ قَلْبي رَذاذًا مُلْتَمِعًا يَغْسِلُها/ أَيَّتُها المشْتَعِلَةُ كَالجُموحِ، أَيَّتُها الدّافِئَةُ كَالبَرْدِ الأَليفِ –
لِماذا

كُلَّما ارْتَقَيْتُ إِلى وَهْجكِ الرّائِعِ
أَضَعْتُكِ؟

أَيَكونُ أَنَّنا بَيْنَ الهَدْأةِ وَالهَدْأَةِ
نَسْتَيْقِظُ عَلَيْنا كَأَرَجِ القَمَرِ،
كَالبُحَيْراتِ الَّتي ذابَ عَنْها الجَليدُ
فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُها عَلى نورِ السَّماءِ
وَارْتِعاشَةِ الغُيومِ الثَّلْجِيَّةِ؟

أَيَكونُ أَنَّنا، وَقَدْ لَفَّنا بَهاءُ الفُجاءَةِ،
نَرْحَلُ في كَنيسةِ اللِقاءِ،
نوقِدُ شُموعَ التَوْقِ
وَبَخورَ الرَّغْبَةِ الجامِحَةِ؟

أَيَكونُ أَنَّنا نَنامُ عَلى جَسَدٍ،
نَسْتَيْقِظُ عَلى جَسَدٍ

لِيَصيرَ فينا الجَسَدُ صَلاةً
وَإِنْجيلَ شَهْوَةٍ يَمُرُّ بِنا مَعًا
وَيَنْكَتِبُ بِنا مَعًا...؟

أَيَكونُ أَنَّنا، في حُمَيّا الغِيابِ،
نُساكِنُ اللُقَيّا المفاجِئَةَ في الحُلْمِ الهائِجِ،
وَحينَ يُحْتَضَرُ الواقِعُ كَالعِطْرِ المتَلاشي
نَذوبُ بِاتِّجاهِ أَلَقٍ جَديدٍ
حَيْثُ لا شَيْءَ سِوى مهْرَجان الأَضْواءِ؟

أَيَكونُ، بَعْدُ، في قَرارةِ الاشْتِياقِ
أَنْ نَصيرَ خالِقَيْنِ مُتَّحِدَينِ في اللَذَّةِ،
في شَهْوَةِ العِناقِ المرْتَعِشِ مَعَ الغَرابَةِ
في اصْطِدامِ الشَّهْقَةِ بِأَلْوانِ النّورِ،
في الْتِحامِ الرَّغْبَةِ بِوِلادَةِ الأُفُقِ،
في ارْتِخاءِ المفاصِلِ داخِلَ السَّديمِ المنْحَلِّ؟

وَيكونُ، بَعْدُ، أَنْ نَنْكَسِرَ مَعًا
عَبْرَ بَكارَةِ الرَّوْعَةِ المخْتَرَقَةِ
حَيْثُ لا شَيْءَ سِوانا
وَسِوى أَلَقِنا المنْحَلِّ مِنْ عَلُ؟

أَيَّتُها الواحِدَةُ كَهُتافِ الوَحْيِ
أَوْ كَتَلْويحِ الرُّؤْيا مِنْ بُعْدٍ
وَهِيَ تَخْرُجُ – تُولَدُ مِنْ أَقْصى الأَعْماقِ،
لِماذا
كُلَّما ارْتَقَيْتُ إِلى وَهْجِكِ الرّائِعِ
أَضَعْتُكِ؟

– ٢ –

أَللَيْلُ النّائِمُ في عَيْنَيْكِ يَرْتَجِفُ/
تَرْحَلُ عَيْناهُ في نُجومِكِ/
تُفْلِتينَ مِنْهُ – تُفْلِتينَ مِنّي –

أَبَدًا تُفْلِتينَ
كَالضَّبابِ بَيْنَ الشِّباكِ،
كَالأَرَجِ مِنْ حُقِّهِ المفْتوحِ،
كَالشَّكْلِ مِنْ غُرْبَةِ رَمْلِ الصَّحْراءِ،
كَاللَوْنِ مِنَ الماءِ،
كَالنَّسيمِ مِنَ الفَضاءِ المحاصَرِ،
كَالنِّهايَةِ مِنْ مَعْنى القَصيدَةِ —
تُفْلِتينَ، آهِ، تُفْلِتينِ
وَيَبْقى بَيْني وَبَيْنَكِ
كُلُّ هَذا العالَمِ المنْفَتِحِ،
كُلُّ هَذِهِ اللانِهاياتِ وَالآبادِ،
وَكُلُّ كُلُّ المدى الَّذي لا يَهْدَأُ.
وَلَكِنْ
أَيْنَ أَنْتِ؟
أَيَّتُها الواثِقَةُ كَالشَّكِّ،
أَيَّتُها الخاطِئَةُ كَطَهارَةِ القِدّيسينَ،

الطَّاهِرَةُ كَحُمَمِ الخَطيئَةِ،
أَيَّتُها القافِزَةُ مِنْ شَفيرِ المسْتَحيلِ
إِلى حُدودِ قَلْبي،
مِنْ مَدى الرُّؤْيا السَّرْمَدِيِّ،
وَسَلالِمِ الليلِ المنْسَرِبِ عَلى هُدوئِكِ الماسِيِّ؟
أَيْنَ أَنْتِ؟
آهِ،
أَيْنَ أَنْتِ؟

– ٣ –

حينَ يَنْسَدِلُ اللَيْلُ عَلى عَيْنَيَّ النّائِمَتَيْنِ
وَيَنْثَقِبُ الفَضاءُ نَحْوَ الرُّؤْيا،
حينَ يَبْكي الضَّبابُ في الرُّطوبَةِ البِلَّوْرِيَّةِ
وَيَسْتَيْقِظُ عَلى وَجْهي ما يُشْبِهُ الغِيابُ،
لا كَالهُدوءِ، وَلَكِنْ
ما يُشْبِهُ الهدوءَ،

ما يُشْبِهُ السَّلامَ وَالسَّكينَةَ،
أَنْعَزِلُ عَنّي/
أَتَوَحَّدُ/ أَنْفَجِرُ/
أَتَجَمَّعُ كَالشَّظايا/ أَتَكَوَّنُ،
وَأَبْدَأُ الصُّعودَ نَحْوَ مَنارةِ عَيْنَيْكِ:
صَفاءٌ... صَفاءٌ...
وَالجَسَدُ الرَّقيقُ كَالضَّبابِ
يَتَسَلَّلُ إِلى جَسَدي/ يَسْتَغْرِقُ.
نَتَعانَقُ — نَتَوَحَّدُ:
بَيْني وَبَيْنَكِ عَوالِمُ أَلْوانٍ،
شَبَقٌ هائِمٌ في أَبَدِيَّةِ التَّكْوينِ.
بَيْني وَبَيْنَكِ جَسَدي الهائِمُ فيكِ
كَالصَّدى المنْهَلِّ في أَصْواتِ الملائِكَةِ
أَوْ
مِنْ تَهْليلِ الإِلَهِ.
بَيْني وَبَيْنَكِ هَذا المدى المضَمَّخُ بِالوَعْدِ

اُلْمنْحَلِّ في اللانِهايَةِ
كَصَفْوَةِ الإِشْراقِ.
بَيْني وَبَيْنَكِ فَضاءُ الشَّهْوَةِ
وَهِيَ تَنْغَمِسُ في آهاتِ الآلِهَةِ
عَبْرَ سَديمِ الذُّهولِ وَالتَّوْقِ الهارِبِ.
بَيْني وَبَيْنَكِ أَبَدٌ مِنَ الاكْتِشافِ
وَكُلُّ هَذا الاشْتِهاءِ الصّاهِلِ في بَراري الأَبَدِ.
بَيْني وَبَيْنَكِ حَدائِقُ الأَرَجِ،
وَلَيْلَكُ الأَشِعَّةِ،
وَالبَخورُ،
وَالمرارَةُ الرّائِعَةُ،
وَالذُّهولُ،
وَالشَّهْقَةُ الماسِيَّةُ،
وَعالَمٌ يَرْتَعِشُ عَبْرَ أَقاصي الحَنينِ/
فَآهِ غَيِّبيني...
وَاصْعَدي في مِعْراجي.

- ٤ -

يَمُرُّ بِكِ المسْتَحيلُ فَيَخْجَلُ مِنْكِ،
وَيَلْتَمُّ مُنْعَزِلًا في مَنارِ السُّكونْ
لِيَحْمِلَكِ الوَعْدُ نَحْوَ السَّديمِ الَّذي شاءَ
أَنْ يَصْبُغَ الرُّؤْيا
باخْتِلاجاتِهِ عَبْرَ ريحِ الجُنونْ —
تَمُرّينَ أَنْتِ
كَما يَهْتِفُ اللهُ في اللُغَةِ الغامِضَهْ
وَيورِقُ وَجْدي
كنَوْءٍ يَهُلُّ عَلى النَّشْوَةِ الفائِضَهْ.
تَمُرّينَ/ هَلْ كانَ لَوْنُ الظُّنونْ
طَرِيًّا؟
وَلَوْنُ الأَمانِيّ في البُعْدِ مُشْتَعِلًا
بِرُؤًى عارِضَهْ؟
أَوْ هَشيمًا أَلوذُ إِلَيْهِ
إِذا صِرْتِ في قِمَّةِ النّورِ

نَحْوَ احْتِراقِكِ – نَحْوَ احْتِراقي
كَشَرْنَقَةٍ
أَلْهَبَتْها مَسافاتُكِ الذّائِباتُ/
تَمُرّينَ في ضَوْءِ قَلْبي
أَنينًا طِرِيًّا
وَشَهْوَةَ وَجْدٍ طَرِيَّهْ
وَتَصْعَدُ في تَوْقِكِ الدَّهْشَةُ المسْتَحيلَةُ:
كُنْتِ حُضورَ الغِيابِ الجَميلِ
وَهَسْهسَةَ النَّشْوَةِ البَرْبَرِيَّهْ.
كُنْتِ وَجْهي
يَمُرُّ عَلى السَّمْتِ مُنْفَتِحًا،
شَعْرُهُ اللَيْلُ يَغْزِلُ مِنْ مُقْلَتَيْكِ كَواكِبَ،
وَالجَسَدُ المشْتَهي أَبْجَدِيَّهْ.

عِنْدَما يَعودُ النّورُ مِنْ مَأْواهُ فيكِ
يَنْسَدِلُ عَلَيْكِ الأَلَقُ/
تَتَلَوَّنينَ بِالحُلْمِ الطَّرِيِّ الَّذي يَفْتَحُ الطَّريقَ
أَمامَ فَضاءِ القَصيدَةِ.
عِنْدَما تَخْرُجينَ مِنْ عَنْكَبوتِ الوَقْتِ إِلى عَيْنَيَّ
أَسْتَظِلُّكِ/ أَرْكَعُ في عَيْنَيْكِ عَلى نورِ الوَجْدِ،
أَسْتَعْمِرُكِ خارِجَ الزَّمانِ وَالمكانِ،
وَأَبْقى حَوْلَكِ رَذاذًا مِنَ الرَّعَشاتِ
وَهَمْسًا مِنْ لُطْفٍ.
عِنْدَما تَخْرُجينَ مِنّي إِلَيَّ
يَنْفَتِحُ الكَوْنُ عَلى أَثيرٍ/
يَنْحَلُّ الجَسَدُ في ضَبابِ الرَّغْبَةِ
وَاللَيْلُ في فَضاءِ عَيْنَيْكِ/ تَخْرُجينَ/
حُقولُ الأَشِعَّةِ بُخارُ تَكْوينٍ،
وَيَداكِ مِبْخَرَتانِ في قُدّاسِ النَّشْوَةِ.
آهِ، تَخْرُجينَ/

بَيْنَـكِ وَبَـيْنَ الأَرْضِ مِسـاحاتٌ يَسْـقُطُ فيهـا
الزَّمَنُ
وَمَدًى مِنَ الغَرابَةِ المشِعَّةِ.
بَيْنَكِ وَبَيْنَ الأَرْضِ صَلاةٌ
وَمِهْرَجانٌ مِنَ الغِبْطَةِ.
لَكِنْ
كُلَّما أَرْهَجَ اللَيْلُ عَلَيْكِ
تَوَهَّجْتِ/
كُلَّما انْسَدَلَ الزَّمَنُ عَلَيْكِ
تَوَهَّجْتِ/
كُلَّما احْتَرَقَ فيكِ جَسَدي
تَوَهَّجْتِ... تَوَهَّجْتِ...
وَمَعَ ذَلِكَ
لِماذا
كُلَّما ارْتَقَيْتُ إِلى وَهْجِكِ الرّائِعِ
أَضَعْتُكِ؟

- ٦ -

وَجْهُـكِ يَشْـتَعِلُ بي/ يُشْعِلُني بِالفَـرَحِ. وَجْهُـكِ
سَفَرٌ إِلى دَهْشةِ الاكْتِشافِ،
إِلى غَرابَةِ التّيهِ الرّائِعِ.
وَجْهُكِ الطَّعْنَةُ الرّائِعَةُ في رَذاذِ النَّشْوةِ المتَوَهِّجِ،
اْستِحالَةُ الخُروجِ حينَ يَسْكُنُ الدُّخولُ تَحْتَ
المسامِّ.
أَلا وَجْهَ لي
سِـوى تِلْـكَ الغِبْطَـةِ العَميقَـةِ في تَوَحُّـدِكِ
المهيبِ؟
أَلا وَجْهَ لي
سِوى اْئْتِلاقِ الغِيابِ في حُضورِكِ الكامِلِ؟
أَلا وَجْهَ لي
سِوى انْدِلاعِ العِشْقِ في وَجْدِكِ المتَسامي؟

لا وَجْـهَ لي/ كُنْـتِ الوَجْـهَ الَّـذي اْمـتَصَّ كُـلَّ
الوُجوهِ
وَأَنْتِ السَّديمُ الَّذي افْتَرَشَ تيهي فَغَيَّبَهُ،
اْلسَّديمُ الَّذي امْتَصَّني فَأَعادَ تَكْويني،
اْلسَّديمُ الَّذي يُساكِنُني،
اْلسَّديمُ الَّذي يَلْهَثُ فِيَّ كُلَّما لَهَثْتُ فيهِ،
اْلسَّديمُ الَّذي كُلَّما وَجَدْتُه أَضَعْتُه،
اْلسَّديمُ الَّذي يَحْتَرِفُ اشْتِعالَهُ فِيَّ،
اْلسَّـديمُ الَّـذي يَخْـتَرِقُ السَّـمْتَ لِيولَـدَ في
السَّمْت،
اْلسَّديمُ الَّذي يَشْتَعِلُ في قَرارَتي وَيُشْعِلُني،
اْلسَّديمُ الصّاعِدُ مِنْ أَعْماقي إِلى أَعْماقي،
اْلسَّديمُ الحاني عَلَيَّ كَلَيْلِ عَيْنَيْكِ وَالْوَجْدِ،
وَأَنْتِ، آهِ، أَنْتِ
طَراوَةُ الأَبَدِ وَهُوَ يَنْسَدِلُ عَلى غِبْطَةِ العِشْقِ
وَمِهْرَجانُ الأَرَجِ

فِي مَعْبَدِ غِيابِيَ الرّائِعِ.

– ٧ –

أَعودُ إِلَيْكِ كُلَّما خَرَجْتُ مِنْكِ.
أَسْتَسْلِمُ لَكِ/ أَتَكَسَّرُ فيكِ/ أَتَشَظّى...
أَيَكونُ أَنَّكِ بَيْنَ الشَّهْقةِ وَالشَّهْقَةِ
تَبْرُقينَ فِي مَسامّي كَقَرْعِ الأَجْراسِ،
تَتَصاعَدينَ مِنْ لُهاثي نافورَةَ بَخورٍ
وَمِظَلَّةَ قَوْسِ قُزَحَ؟
أَيَكونُ أَنَّكِ، آهِ،
تَثِبينَ بي إِلى سِدْرَةِ الفَضاءِ
حَيْثُ عِناقُنا فِي نَشْوَةِ الوُجودِ،
حَيْثُ يَرْتاحُ فينا الخَلْقُ:
إِلَهَيْنِ ظامِئَيْنِ إِلى أَبَدِ التَّكْوينِ،
أَبْجَدِيَّةً أَثيرِيَّةً
تُظَلِّلُ أَعْمارَ المَجَرّاتِ بِالحَنينِ؟

أَعـودُ إِلَيْـكِ كُلَّمـا خَرَجْـتُ مِنْـكِ (هَـلْ خَرَجْتُ؟)

أَمُـرُّ عَلـى سُـهولِ جَسَـدِكِ الأَثـيرِيّ لِأَقْطِـفَ فُسْتُقَ اللَيْلِ الَّذي يُطَقْطِقُ وَالماسَ الأَصْهَبَ الضَّوْئِيَّ داخِلَ مَناجِمِكِ/ أَمُرُّ عَلى نارِ شَفَتَيْكِ لِأَحْصِدَ قَمْحَ الشَّـهْوَةِ رَغيفًـا ناضِـجًا مِـنَ الضَّـوْءِ الَّـذي يَشْـهَق/ أَمُـرُّ عَلى اشْـتِهائِكِ الأَثـيرِيّ لِأَنْفَلِـتَ مِنْـهُ ضَـوْءًا يَئِنُّ عَـبْرَ بَراري الأَلَقِ/ أَمُرُّ عَلى جِبالِ ثَدْيَيْكِ أَذوقُ تُفّاحَ اللَّذَّةِ وَأَشُمُّ سَوْسَنَ الانْتِشاءِ.

وَأَنْتِ
تَنْفَتِحينَ أَكْثَرَ كَأُفُقِ السِّرِّ
كَمَمَرّاتِ الوَجْدِ الكَوْنِيَّةِ،
فَآهِ، آهِ، ٱهْدَإِي... وَٱسْتَكيني.

أَعودُ إِلَيْكِ كُلَّما خَرَجْتُ مِنْكِ

لِأَنْحَلَّ في مِهْرَجانِ الغِبْطَةِ العارِمِ
وَفي شَهيقِ التَّكْوينِ الطّالِعِ مِنْكِ
عِنْدَما تَفيئينَ إِلَيَّ.
أَعودُ إِلَيْكِ
لِأَسْتَقِرَّ في نَوافيرِ الفَرَحِ الجامِحِ
عَبْرَ عَيْنَيْكِ اللَّيْلِيَّتَيْنِ
وَجِسْمِكِ البَرْبَرِيِّ الطّالِعِ مِنْ أَبَدِ التَّكْوينِ.
أَعودُ إِلَيْكِ
كَما يَسْتَغْرِقُ الحُلْمُ في فَضاءِ الرُّؤْيا...
أَذوبُ في مِهْرَجانِ احْتِراقِنا
وَعِنْدَما تُحيطُ بِنا الدُّنْيا ذاهِلَةً كَالصَّلاةِ
تَخُرُّ أَمامَنا لِتَعْبُدَنا،
وَأَقْطِفُها كُلَّها كَالثَّمَرَةِ اليانِعَةِ
داخِلَ حَرْفٍ واحِدٍ
مِنْ أَبْجَدِيَّةِ شَفَتَيْكِ الإِلَهِيَّتَيْنِ.
(١٣ – ١٥/ ٨/ ٢٠٠٥)

التَّكْوين الثاني

...هَكَذا كانَ أَنْ خَرَجْتِ إِلَيَّ مِنْ حُلْمي
لِتَسْكُني جِلْدي
حُقولًا مِنَ الشَّمْسِ
وَبُحَيْراتٍ هادِئَةً
تَنامُ عَلى عَيْنَيّ/

هَكَذا كانَ أَنْ لَمَمْتِ ضَياعي
في سَديمٍ مِنَ الصَّفاءِ
وَرَصَّعْتِ أُفُقي الضَّبابِيَّ بِالقَصَبِ
وَشَفَتَيَّ بِالكَلامِ/

هَكَذا كانَ أَنْ سَفَحْتِ غَراباتِ اللَيالي
عَلى هُدوءٍ ٱنْداحَ بَيْنَ العُروقِ
فَزَوْبَعَني

شَظايا فِي اخْتِلاجاتِ الرُّؤْيا/

هَكَذا كُنْتِ
مِثْلَ ٱلْتِماعاتٍ أَضاءَتْ داخِلي
عَلى انْبِلاجٍ بِعُمْقِ التَّكْوينِ/
وَسِرْتُ، آهِ، سِرْتُ
عِنْدَ شَفيرِ الأَشِعَّةِ الذَّهَبِيَّةِ
أُعانِقُ الحُلْمِ،
أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ عَناقيدَ الشَّمْسِ
تَنْسَكِبُ لُقَيّاتٍ عَلى خَطَواتي
وَإِشاراتٍ إِلى كَوامِنَ في قَلْبي
تَتَفَتَّحُ أَبْجَدِيَّةً جَديدَةً
لِلُغةِ الضَّوْءِ/

وَأَنْتِ
أَيَّتُها النّابِضَةُ كَالهاتِفِ الآتي مِنْ دَاخِلَ،

أَيَّتُها القِدّيسَةُ العاصِيَةُ
أَنْتِ
عَلى حُدودِ هَذا الزَّمانِ الغَريبِ
تَبْدَإِينَ مِنْ وَعْيٍ لا يُشْبِهُ الوَعْيَ
وَمِنْ صَدًى بَعيدٍ كَأَنَّهُ أَنينُ الوِلادَةِ،
تَنْدَلِعينَ في أَحْشائي
جَوْقاتٍ مِنْ أَهازيجِ الملائِكَةِ
عَلى حَبْلِ الرُّؤْيا المفْتوحِ
أَوْ
كَالطَّعْنَةِ الرّائِعَةِ/

هَكَذا تَخْرُجينَ
وَأَخْرُجُ مِنْ شَفيرِ الصَّمْتِ
إِلى أَرْضٍ لا يَنْبُتُ فيها غَيْرُ الضَّوْءِ،
إِلى حَقْلٍ مِنْ أَهازيجِ التَّجَلّي/
هَكَذا تَخْرُجينَ إِلَيَّ

كَالطَّعْنَةِ الَّتي اخْتَرَقَتْ كِياني
رائِعَةً كَالقَداسَةِ
تَفْتَحُ فِيَّ الحُلْمَ
لِأَنْتَحِرَ فيها
كَما يَنْتَحِرُ الضَّوْءُ في الضَّوْءِ.

١٤/ ٣/ ٢٠٠٥

الخارجة من الرّؤيا

- ١ -

تَخْرُجينَ إِلَيَّ مِنَ الحُلْمِ عابِقَةً بِالنُّجومِ
مَكْسُوَّةً بِالدَّهْشَةِ الدّافِئَةِ.
تَخْرُجينَ
مِثْلَما تُرْسِلُ الشَّمْسُ أَضْواءَها إِلى حَقْلٍ مِنَ...
ٱلأُقْحوانِ،
وتَكْمُنينَ عَلى مِحْجَرَيَّ في لَذَّةِ الاكْتِشافِ/
اسْتَسْلِمي!
إِنَّ في عَيْنَيْكِ عَباءَةً مِنَ الضَّبابِ.
إِنَّ في شَفَتَيْكِ حَقْلًا مِنَ الغِيابِ
عَبْرَ الحُضورِ الغَريبِ.
إِنَّ في جِلْدِكِ رائِحَةَ الحُلْمِ
وَقُدّاسَ الفَرَحِ الغَريبِ/
اسْتَسْلِمي!

وَاشْتَعِلي بِالضَّوْءِ الَّذي يُساكِنُني
وَيُشْعِلُني كَالذَّبيحَةِ الرّائعَةِ/
اسْتَسْلِمي
لِهَمْسِ البَخورِ الَّذي يَلُفُّ حُقولَ الزَّيْتونِ
كَهَديلِ الحَمامِ.
أَلْبِسيني نَظَراتِكِ
وَاسْتَيقِظي في جَوانِحي
مِثْلَ وَعْدٍ ضاقَتْ بِهِ الرُّؤْيا
وَساكَنَها في اهْتِزازِ الأَشْياءِ/
اسْتَيْقِظي في مَسامّي
رائِعَةً كَالدَّهْشَةِ
أَوْ
كَالمطَرِ الَّذي يَلْثُمُ الأَرْضَ
وَحاصِريني كَرَهْجِ الحُلْمِ الَّذي يَنْسَدِلُ عَلى عَيْنَيَّ
يَنْخَطِفُ إِلى عالَميَ البَعيدِ
وَيَسْتَقْبِلُ الغَرابَةَ المضيئَةَ كَالعاشِقينَ —

آهِ، ٱسْتَيْقِظي وَاسْتَسْلِمي!

- ٢ -

تَخْرُجينَ إِلَيَّ مِنْ غاباتِ الزّمانِ
أَعْمَقَ مِنْ غاباتِ الزَّمانِ/
أَكْتَشِفُكِ/ أُكاشِفُكِ/
أَرْحَلُ في بَراريكِ الضَّبابِيَّةِ
كَما يَهُبُّ النّورُ عَلى مَسافَاتِ الأَلَقِ/
تَخْرُجينَ إِلَيَّ.
تَدْخُلينَني... كَالطَّعْنَةِ الرّائِعَةِ!
هَكَذا
يَنْفَتِحُ النّورُ عَلى النّورِ.
هَكَذا
يَسْتَيْقِظُ الأُفُقُ في أُفُقٍ جَديدٍ
وَتَتَبَرَّكُ الأَرْضُ بِالرَّعْشَةِ الهارِبَةِ.

هَكَذا

تَنْقَفِلُ العَيْنُ عَلى الرُّؤْيا

وَيَسْتَغْرِقُ الزّمانُ في ما وَراءَ الزَّمانِ.

هَكَذا

أَشْتَعِلُ

كَالصَّوْتِ الَّذي يَصيرُ رايةً

لِما فَوْقَ الأَرْضِ وَالسَّماءِ.

- ٣ -

تَخْرُجينَ إِلَيَّ مِنْ بَراري الرُّؤْيا

رائِعَةً كَأُغْنِيَةِ الضَّوْءِ الَّذي يَسْكُنُ أَحْداقَ الزُّهورِ.

بَيْني وَبَيْنَكِ عَوالِمُ وَآفاقٌ

وَفَضاءاتٌ مِنَ الهَجْرِ وَالفُقْدانِ

وَمَعَ ذَلِكَ

أَسْكُنُ جِلْدكِ قَريبًا كَالمَسامِّ.

بَيْني وَبَيْنَكِ سَديمٌ مِنَ العُمْرِ اليابِسِ
وَمَعَ ذَلِكَ
نَرْحَلُ مَعًا في بَرارينا
رائِعَيْنِ كَالنّورِ المُنْهَلِّ مِنَ الشَّمْسِ
أَوْ
كَاللَحْظَةِ الَّتي تَصيرُ أَبَدًا
في ضَميرٍ
خارِجَ هَذا الزَّمانِ.

– ٤ –

تَخْرُجينَ...
لا شَيْءَ إِلّا أَهازيجَ الصَّفاءِ
وَصَدى الزّمانِ المكْسورِ عَلى أَقْدامِنا.
تَخْرُجينَ/
لا شَيْءَ إِلّا رَعْشَةٌ هارِبَةٌ
تَحْتَلُّ عُمْرًا بِحَجْمِ الكَوْنِ

وَهَمْسًا بِحَجْمِ كُلِّ الأَصْواتِ/
تَخْرُجينَ
مِثْلَ وَعْدٍ مَفْتوحٍ عَلى شَفيرِ البِدايةِ،
مِثْلَ ضَوْءٍ يَخْطِفُ العالَمَ إِلى مَلَكوتِ الفَرَحِ
حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ يَسْكُنُ أَحْلامَنا،
حَيْثُ لا شَيْءَ إِلّا الصّفاءَ...

أَيَّتُها الهادِئَةُ كَضَجيجِ الرَّغْبَةِ الجامِحَةِ،
أَيَّتُها الصّاخِبَةُ كَالصَّمْتِ العَميقِ،
اسْتَكيني عَلى مِساحاتِ حُلْمي
وَامْرَحي في حُقولِ الرَّعَشاتِ/
بَيْنَنا صَدى عُمْرٍ يَسْكُنُهُ الأَلَقُ.
بَيْنَنا فُتاتُ الزَّمانِ الطَّويلِ
وَأَناشيدُ الأَمْسِ المتَكَسِّرِ/
بَيْنَنا بَرْدُ المكانِ الفاجِعِ المتَهاوي كَالمطَرِ/
بَيْنَنا مَدى الصَّوْتِ الَّذي هَدْهَدَ الفَراغَ

وَمَلَأَهُ بِرَمادِ السُّكونِ وَالوَحْشَةِ/
أَيَّتُها الرّائِعَةُ كَالقَصيدَةِ
أَوْ
كَضَوْءِ الوَحْيِ يَسْتَيْقِظُ فينا مِثْلَ النَّسيمِ،
اسْتَكيني عَلى مِساحاتِ حُلْمي،
آهِ، ٱسْتَكيني وَاسْتَسْلِمي!

– ٥ –

لِئَلّا يَصيرَ الزَّمانُ فِراقًا كَالبَرْدِ
أَوْ
فَراغًا كَالوَجَعِ
أَكْتُبُ هَذا الهَمْسَ النّافِرَ،
أَكْتُبُ هَذِهِ الطَّعْنَةَ الرّائِعَةَ.

لِئَلّا يَسْتَيْقِظَ الصَّمْتُ الرَّهيبُ كَالنِّسْيانِ
أَكْتُبُ هَذا الفَرَحَ الطّافِرَ

مِنْ أَعْماقِ ضَوْئِكِ.

- ٦ -

سَيَكونُ أَنْ تَشْتَعِلَ الغِبْطَةُ عِنْدَ حُدودِ القَلْبِ،
أَنْ تَرْشَحَ مَسامُّنا ضَوْءًا وَلُقَيّا،
أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْنا الصَّوْتُ مِنْ مَخْبَئِهِ
شَيْئًا فَشَيْئًا
يَبوحُ بِكُلِّ الأَسْرارِ...
أَنْ تَنامَ فينا الرَّغْبَةُ الصّامِتَةُ
وَتَحْلُمَ بِالآتي المَفْتوحِ عَلى اخْتِلاجِ النّارِ/
سَيَكونُ أَنْ نُضيءَ كَالشِّعْرِ
في جَفافِ المكانِ الَّذي يَمْتَدُّ حَوْلَنا
وَنَرْحَلَ واحِدَيْنِ في هُبوبِ الأَلَقِ
إِلى فَضاءاتٍ لَمْ يَرُدْها سِوانا،
إِلى عَوالِمَ تَسْكُنُ الدَّهْشَةَ
وَتُرَصِّعُ عَيْنَيْنا بِأَهازيجِ التَوْقِ وَالأَلْوانِ/

سَيَكونُ أَنْ نَخْلَعَ جِلْدَنا في الضَّوْءِ
حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ صَدًى لَنا
في مَلَكوتِ السِّحْرِ وَالأَلْوانِ/

سَيَكونُ أَنْ نَجْبُلَ بِالشِّعْرِ
تَوْقَنا المـُمْتَدَّ
وَكُلَّ كُلَّ هَذا الصَّفاءِ.

سَيَكونُ أَنْ نَجْبُلَ بِالشِّعْرِ
هَذا الهدوءَ الظّامِئَ إِلى الضَّجيجِ.

– ٧ –

سَلامًا
أَيَّتُها الهابِطَةُ إِلى عالَمي
كَبَريقِ التَّكْوينِ.
سَلامًا

أَيَّتُها الهَمْسَةُ الَّتي تَخْطَفُني

إِلى حُقولِ الضِّياءِ،

أَيَّتُها الصّاعِقَةُ الَّتي

لا تَعْرِفُ

إِلّا أَنْ تَقْتُلَني!

١١/ ٣/ ٢٠٠٥

الغربية

تَنْزِلينَ إِلَيَّ مِنْ جِبالِ التَّوْقِ
ٱنْخِطافًا
أَوْ
قَصيدَةً رائِعَةً... كَالذُّهولِ.

تَنْزِلينَ إِلَيَّ مِنْ جِبالِ الوَقْتِ
عَلى وَجْهِكِ رَيّا الفَجْرِ وَأَرَجِ الرَّبيعِ
وَفي عَيْنَيْكِ أَلَقُ الرُّؤْيا —
عَيْناكِ وَطَني
وَصَمْتُكِ النَّشيدُ العارِمُ في مُهْجَتي المُلْتَهِبَةِ.

اشْتَعِلْ، أَيُّها الوَقْتُ البارِدُ في قَلْبِيَ، ٱشْتَعِلِ، ٱشْتَعِلْ.

بَيْني وَبَيْنَكِ حُقولُ الصّدى المذَهَّبِ

وَالقَصائِدُ المُطَرَّزَةُ بِلُهاثِ التَوْقِ.
بَيْني وَبَيْنَكِ يَتَكَسَّرُ الزَّمانُ كَالمَوْجِ،
يَنْثُرُ عَلى وَجْهَيْنا رَذاذَ الزَّبَدِ...
وَمِثْلُكِ هَذا الهُدوءُ الصّاخِبُ حَتّى الضّجيجِ،
مِثْلُكِ هَذا اللَهيبُ الَّذي يَشْتَعِلُ عَبْرَ الرُّؤْيا،
يَصْقُلُني فيهِ كَبَخورِ المَعْبَدِ —

اشْتَعِلْ، أَيُّها الوَقْتُ البارِدُ، ٱشْتَعِلِ، ٱشْتَعِلْ.

تَنْزِلينَ إِلَيَّ مُثْقَلَةً بِالثِّمارِ،
مُتَوَهِّجَةً كَالسَّنابِلِ الَّتي يَتَّقِدُ فيها الضَّوْءُ كَالقَصيدَةِ
وَأَجْثو فيكِ/
أَتَعَرّى مِنْ ذاتي/ أَلْبَسُكِ ذاتًا/
أَتَقَمَّصُكِ/
أَتَكَسَّرُ فيكِ/
ثُمَّ...

أَشْتَعِلُ... حَتّى الرَّمادِ.

تَنْزِلينَ إِلَيَّ
مِنْ سَديمِ الوَقْتِ الَّذي يَتَكَوَّمُ في فَضائي
لِكَيْ يُمْطِرَكِ،
تَمْسَحينَ جَبيني بِأَريجِ العِشْقِ
أَوْ
بِبَخورِ التَّعَبِ.
أَتَقَرّاكِ حَرْفًا حَرْفًا/ أَكْتُبُكِ/
أُكَوِّنُكِ/ أَعْجُنُكِ بِالنّورِ/
أَنْعَجِنُ بِكِ/
أَسْتَيْقِظُ عَلَيْكِ/
أَسْتَسْلِمُ لِلذُّهولِ يَرْحَلُ فِيَّ كَالطَّعْنَةِ،
ثُمَّ
أُقْفِلُ عَيْنَيَّ
وَأَنامُ بَيْنَ مَسافاتِكِ المُلْتَهِبَةِ.

اشْتَعِلْ، أَيُّها الوَقْتُ البارِدُ، ٱشْتَعِلِ، ٱشْتَعِلْ.

وَلِماذا
لا يَنْفَتِحُ عَلَيْنا السَّديمُ عالَمًا جَديدًا،
يَنْهَلُّ عَلَيْنا الضَّوْءُ كَالمطَرِ؟

لِماذا
لا نَكونُ مَعًا كَالمعْبَدِ العالي
تَجْثو أَمامَنا الأَيّامُ
وَتَعْبُدُنا؟

أَيَّتُها الواحِدَةُ الرّائِعَةُ كَالرُّؤْيا
تَمَدَّدي عَلى قَلْبي
وَانْسَكِبي عَلَيَّ كَالنُّورِ الآتي مِنْ عَلُ
عابِقًا بِالزَّيْتونِ وَالبَخورِ،
بِرائِحَةِ الأَثيرِ...

أَيَّتُها الواحِدَةُ المتَوَهِّجَةُ كَالأَلَقِ

أَوْ... كَالشِّعْرِ...

تَوَقَّدي في داخِلي وَأَتَفَتَّتَ كَرَغيفِ الخُبْزِ،

تَأَلَّقي وَأَذوبَ كَالوَهْجِ في عَيْنَيْكِ البَرِّيَّتَيْنِ...

وَإِذا مَسَحَتْ يَدُكِ سُهولَ القَصيدَةِ

نَما فيها الشِّعْرُ كَالسَّنابِلِ

وَالْتَمَّ حَوْلَكِ

هالَةً رائِعَةً

يُساكِنُها الفَرَحُ... حَتّى الذُّهولِ!

اشْتَعِلْ، أَيُّها الوَقْتُ البارِدُ، ٱشْتَعِلِ، ٱشْتَعِلْ.

وَأَنْتِ

أَيَّتُها الآتِيَةُ إِلَيَّ مِنْ آخِرِ الآفاقِ

أَوْ

مِنْ رائِحَةِ الرَّوْعَةِ الَّتي تَنْهَلُّ في سَمائي،

أَنْتِ
أَيَّتُها النّافِذَةُ إِلى قَلْبي كَالرِّمْحِ الأَثيرِيِّ
اْلغارِقَةُ في عَيْنَيَّ حَتّى قاعِ الوَلَهِ،
الْبَسيني ذاتًا
وَاحْتَرِفي فِيَّ الضَّياعَ،
أَيَّتُها القُبْلَةُ الضَّبابِيَّةُ الَّتي تَغْمُرُ كِياني
كوني اللَظى الدّاخِلَ أَعْماقي لِيُشْعِلَها،
كوني الضَّياعَ في حُقولِ الانْخِطافِ،
كوني المدى... كوني الطَّريقَ...
وَنَرْحَلَ مَعًا في مِهْرَجانِ الضَّوْءِ وَالعَبيرِ...

نامي عَلى عَيْنَيَّ أَيَّتُها الغَريبَةُ
وَتَغطّي بي...

١٨/ ٣/ ٢٠٠٥

أَلَمُّ وَجهَكِ

أَلَمُّ وَجْهَكِ في كِياني
أُرْجوحةً لِلْمُسْتَحيلِ.
وَعِنْدَما يَنْزَلِقُ اللَيْلُ بَيْنَ مَسامّي
أُبْحِرُ في عَيْنَيْكِ
إِلى بِلادٍ يَحْضِنُها الضَّبابُ،
إِلى جَزيرَةِ الوَحْدَةِ وَالدَّهْشَةِ،
وَأَنْقَفِلُ عَلَيْكِ.

أَلَمُّ وَجْهَكِ في كِياني
جُرْحًا أَرْوَعَ مِنْ نَشْوَةِ الانْتِصارِ...
وَحينَ أُمْسِكُ بِكِ
تَنْزَلِقينَ مِنْ بَيْنِ الأَصابِعِ
كَالحُلْمِ المحالِ...

أَلُمُّ وَجْهَكِ فِي كِياني
مُرْتَعِشًا كَالنَّشْوَةِ العارِمَةِ.
وَحينَ أَلْتَمُّ عَلَيْكِ
مُشْتَعِلًا كَالأَلَقِ،
يُحْرِقُني ضَوْؤُكِ،
يَسْقُطُ رمادي عَلى عَيْنَيْكِ البَرِيَّتَيْنِ
فَلا أَكونُ بَعْدُ...

أَلُمُّ وَجْهَكِ فِي كِياني.
لَكِنَّني
حينَ أَعودُ إِلى ذاتي مِنْ فَراغِ الأُمْسِياتِ
أَجِدُكِ وَحْدَكِ
فِي جَليدِ الفَراغِ
تَنوئينَ بِالضَّوْءِ الَّذي فيكِ/
أَبْقى خارِجَكِ
وَرَقَةً هاجَرَها المِدادُ،

غَيْمَةً تَذوبُ في أَسَنِ اللَيْلِ،
وَلا تَكونُ بَعْدُ...

أَلُمُّ وَجْهَكِ في كِياني.
لَكِنَّني في صَمْتيَ المديدِ الأَبْلَهِ
أَلُمُّ جُرْحي عَلى جُرْحي
وَأَسْتَغْرِقُ في الصَّمْتِ الطَّويلِ...

(١٥/ ٧/ ٢٠٠٣)

المُتْعَبَة

يَحْمِلُكِ التَّعَبُ إِلى فَضائِيَ المثْقَلِ بِالضَّوْءِ،

فَاسْتَلْقي عَلى جَوانِحي، وَالْبَسي النُّجومَ وَالأَنْوارَ حَتّى تَغْفي، وَاسْتَغْرِقي في أَحْلامِكِ بَيْنَ الرَّحيلِ وَالرَّحيلِ/ نامي كَحورِيَّةٍ في هَذا الفَضاءِ الهاجِعِ، وَاسْتَسْلِمي لِلْهُدوءِ العارِمِ.

كانَ بَيْني وَبَيْنَ هَذا الهدوءِ المديدِ عَيْناكِ/ كانَ بَيْني وَبَيْني أَنْتِ/ وَكُنْتِ تَخْرُجينَ مِنْ جِلْدي إِلى الصّدى الغافي فَوْقَ الهُدوءِ وَتَجْبُلينَ الضَّوْءَ بِالأَريجِ — تَتَناوَلينَ أَعْضائي وَتَرْسُمينَ بِها قَلْبًا جَديدًا، وَجِلْدًا جَديدًا، وَعَيْنَيْنِ...

نامي عَلى عَيْنَيَّ أَيَّتُها الحالِمَةُ،

وَتَغَطّي بي.

يَحْمِلُكِ التَّعَبُ إِلى فَضائِيَ المُثْقَلِ بِالضَّوْءِ،

فَارْتاحي في قَلْبي، وَادْخُلي قَرارَتي لِتَأْخُذي نُجومَها/ ادْخُلي قَراراتِ النُّجومِ، وَاجْبُلي مِنْ نورِها المتَقافِزِ ثَوْبًا لَكِ وَسَريرًا، وَاقْتَرِبي مِنْ شَفيرِ المكانِ في نَعَسٍ وَتَرَنُّح/ تَمايَلي، تَمايَلي، وَاعْجُني الوَسَنَ الكَسولَ بِالخَفَرِ/ اعْجُني هَذِهِ الجَوانِحَ الحَرّى بِلَوْنِ تَعَبِكِ البَرّاقِ/ وَإِذا قَرَأَ وَجْهي في حَديقَةِ تَعَبِكِ قَصيدَةَ الوَلَهِ فَخُطّي أَحْرُفَها بِانْجِذابِكِ الرَّقيقِ، وَمَهِّديها سَريرًا لَكِ...

نامي عَلى عَيْنَيَّ، أَيَّتُها الحالِمَةُ،

وَتَغَطّي بي.

عِنْدَما تَرْتَعِشُ اليَدُ مِنْ أَلَقٍ

أَوْ مِنْ تَعَبٍ،

عِنْدَما يَذوبُ الكَلامُ في بُحَيْرَةِ عَيْنَيْكِ

أَوْ

يَسْتَغْرِقُ تَوْقُكِ في عُبوري إِلَيْكِ

أَتَسَلَّلُ نَحْوَكِ
كَالخاطِرِ الأَبْيَضِ
وَأَحْمِلُكِ إِلَيَّ
في تَـواتُرِ الضَّـوْءِ الَّـذي يَنْـبِضُ عَـبْرَ غِشـاءِ السَّـديمِ البَعيـدِ، أَوْ في نَـبْضِ التَّعَـبِ الجَميـلِ الَّـذي يَرْفَعُني إِلَيْكِ كَما يَرْتَفِعُ دُخانُ الذَّبيحَةِ نَحْوَ الفَضاءِ، وَيُمَهِّدُني سَريرًا مِنَ التَّوْقِ وَالرَّعَشاتِ/
نامي عَلى عَيْنَيَّ، أَيَّتُها الحالِمَةُ،
وَتَغَطّي بي.

٢٢/ ٣/ ٢٠٠٥

بُرْج الصمت

صامِتَةٌ في بُرْجِكِ الهادِئِ
وَالمدى حَوْلَكِ أُنْشودَةٌ
وَالهَواءُ رايَةٌ وَعُنْوانٌ...

صامِتَةٌ في قَلْبي عِنْدَما يَصْدَأُ الزَّمَنُ
يُداعِبُ الهدوءُ حُقولَ عَيْنَيْكِ
وَنَبْدَأُ مَعًا رِحْلَةَ المسافَةِ
حَيْثُ السُّكونُ غُرْبَةٌ وَطيدَة،
حَيْثُ المدى سِجْنٌ أَخْرَسُ
وَلا أَحَدَ...

صامِتَةٌ في بُرْجِكِ الهادِئِ
وَالمدى حَوْلَكِ أُنْشودَةٌ —
يا لَيْتَني الهَواءُ!

لا شَيْءَ في صَقيعِ الصَّمْتِ
غَيْرَ فَراغٍ ثَقيلٍ كَالجَليدِ
وَوَقْعَ الخُطى يَشْتَدُّ في القَلْبِ/
لا شَيْءَ في صَقيعِ الصَّمْتِ
غَيْرَ الزَّمَنِ المنْهَمِرِ كَالمطَرِ
بَطيئًا... بَطيئًا...
يُعشِبُ حقولَ الوحدة/
لا شَيْءَ في صَقيعِ الصَّمْتِ
غَيْرَ المدى الآسِنِ كَالزَّمَنِ
وَكُلَّ كُلَّ هَذا الفَراغِ...

وَعِنْدَما أَعودُ إِلَيْكِ
يَسْتَظِلُّ النّورُ بَيْنَ ضُلوعي/
أَصيرُ كَالهَواءِ
أَطيرُ بِكِ إِلى أَبْوابِ الفَرَحِ/

أَحْمِلُكِ هَمْسَةً في أُذُنِ الفَجْرِ
وَقُبْلَةً فَوْقَ جَبينِ السَّماءِ.
وَعِنْدَما نَعودُ مِنْ غَمْرَةِ الذُّهولِ
نَتَصَفّى كَالنّورِ
أَوْ
كَصَوْتِ الأَجْراسِ حينَ تُعْلِنُ الفَرَحَ —
يا رائِحَةَ الضَّوْءِ عِنْدَما يُشْرِقُ مِنْ داخِلِنا،
يا وَرْدَةَ النّارِ وَالجَليدِ.

هادِئَةٌ في بُرْجِكِ الهادِئِ
وَالمدى حَوْلَكِ أُنْشودَةٌ —
يا لَيْتَني الهَواءُ!

٤/ ٤/ ٢٠٠٥

تساؤلات

لِماذا كُلَّما حاوَلْتُ الخُروجَ
أَسْقَطَني الوَقْتُ في عَيْنَيْكِ البَرِّيَّتَيْنِ
وَاسْتَراحَ قَلْبي عَلى شُرْفَةِ الأَرْضِ؟ –
جَسَدُكِ الأَرْضُ
وَروحُكِ نَسيمُ الصَّيْفِ النّائِمُ
عَلى شَفيرِ فُؤادي.

لِماذا
كُلَّما حاوَلْتُ الدُّخولَ إِلَيْكِ
أَخْرَجَتْنيَ الغَرابَةُ المضيئَةُ
وَرَحَلَ الفَجْرُ فينا مَعًا
كَأَنَّنا حَقْلانِ مِنَ الضَّوْءِ
أَوْ شَجَرَتانِ تَتَعانَقانِ
تُعانِقانِ خِصْبَ الرَّبيعِ وَلِقاحاتِ الزُّهورِ؟

لِماذا
أَسْتَيْقِظُ دائِمًا في لَذَّتِكِ الغامِضَةِ
وَلا أَجِدُني إِلّا ناسِكًا
في صَوْمَعَةِ قَلْبِكِ الدّافِئِ كَصَوْتِ العِشْقِ
أَوْ هَمْسَةً رائِعَةً
تَفْتَحُ سَرابَ العالَمِ الجَديدِ
حَيْثُ لا يَبْقى سِوى الضَّوْءِ
وَكيمِياءِ الذُّهولِ...؟

لِماذا
أَحْتَرِفُ جَسَدَكِ المُمْتَدَّ كَحَقْلِ بَخورٍ
عَلى مَذْبَحِ النَّشْوَةِ الخَضْراءِ؟
وَأَبْقى طائِرًا في سَماءِ عَيْنَيكِ
أَمْلأُ صَدْري بِأَريجِ حُضورِكِ
وَأَمْتَلِئُ بِكِ... حَتّى الغِيابِ؟

لِماذا
يَحْضُرُني فيكِ هَذا الأَلَقُ الأَخْضَرُ
والجَسَدُ الأَليفُ بِاحْتِراقِهِ وَعَوْدَتِهِ
عِنْدَما نَذوبُ مَعًا في نَشْوَةِ الأَرْضِ
وَحُقولِ السَّديمِ النّائِمِ بَيْنَ أَجْفانِنا...؟

هَكَذا أَطيرُ إِلَيْكِ
مَحْمولًا بِأَجْنِحَةِ النّورِ
وَأَنينِ الجَسَدَ المصْهورِ
في حُقولِ الأَلَقِ،
حَيْثُ الأَرْضُ في قِمَّةِ انْخِطافِها،
حَيْثُ الصَّفاءُ في أَشَدِّ انْعِتاقاتِهِ
عَبْرَ رَحيلِ الجَسَدِ في الجَسَدِ...

لِماذا
عِنْدَما أُبْحِرُ في عَيْنَيْكِ

أَضيعُ فيهما
وَلا أَعودُ بَعْدُ؟

(٥/ ١٠/ ٢٠٠٣)

رباعيات

– ١ –

لِأَنَّكِ في مُقْلَتَيَّ حَنينْ
وَفي القَلْبِ لَحْنٌ بِلَوْنِ البَراري
رفَعْتُكِ مَعْبَدَ عِشْقٍ مَكينْ،
وَلَوَّنْتُ مِنْ مُقْلَتَيْكِ قراري...

– ٢ –

لِأَنَّكِ في القَلْبِ جُرْحٌ وَنارُ
وَكُلُّ فَراشٍ مِنَ الضَّوْءِ طارْ،
سَكَنْتِ بِقَلْبي، وَأَنْتِ مَنارُ
وَرائِحَةُ التيْهِ عَبْرَ البِحارْ...

- ٣ -

يَداكِ حُقولٌ مِنَ الأُغْنياتِ
تَمُرُّ عَلى وَجْهِيَ المسْتَكينْ،
وَأَحْلُمُ بِالضَّوْءِ يَغْزو حَياتي،
وَبِالعِشْقِ يَنْهَلُّ مِثْلَ الأَنينْ.

- ٤ -

أُحِبُّكِ هَمْسًا يَلُمُّ حُطامي،
وَيَعْبُرُ بي كَالدُّخانِ الشَّفيفْ،
وَيُحْرِقُني العِشْقُ عَبْرَ هُيامي
فَأَسْكُنُ فيكِ احْتِراقًا لَطيفْ...

– ٥ –

لِأَنَّكِ هَذا الذُّهولُ الغَريبُ
وَهَسْهَسَةُ الضَّوْءِ وَالمسْتَحيلْ
غَدَوْتِ سُؤالي، وَحينَ أُجيبُ
أَذوبُ بِعَيْنَيْكِ صَمْتًا طَويلْ...

– ٦ –

أُحِبُّكِ... آهٍ! وَأَعْشَقُ جُرْحي،
وَيَنْمو عَلى جُرْحِيَ الجُلَّنارْ.
وَتَبْقَيْنَ أَنْتِ رَغيفي وَقَمْحي
وَوَعْدًا نَما في فُؤادي، وَنارْ.

- ٧ -

إِذا ارْتَحْتُ في قَلْبِكِ الأَزْرَقِ
شِراعًا وَحُلْمًا كَبا وَاسْتَكانْ
فَلُمّي شُجونَكِ في مَفْرِقي،
وَصيري أَمامَ مَدايَ الزَّمانْ...

- ٨ -

تَصيرينَ فِيَّ جَوًى وَقَضِيَّهْ،
وَخَفْقَ الْفُؤادِ، وَنَبْضَ عُروقي،
وَتَخْلُقُ عَيْناكِ لي أَبْجَدِيَّهْ
تُبَلْسِمُ جُرْحي وَطَعْمَ حُروقي.

- ٩ -

إِذا رَحَلَ الصَّمْتُ فيكِ، وَعُدْنا
غَمامًا يَهُلُّ عَلى العالَمينْ،
وَأَعْشَبَ فيكِ الجَوى، وَاحْتَرَقْنا
فَلا شَيْءَ يوصِدُ فينا الحَنينْ.

- ١٠ -

أُحِبُّكِ... آهِ! أُحِبُّ احْتِراقي،
وَصَوْتَ رَمادي، وَلَوْنَ الأَنينْ،
وَأُعْلِنُ فيكِ صَباحَ انْبِثاقي
وَشَمْسًا تُضيءُ الخُطى وَالحَنينْ.

رحلة الغرَق

تَغْرَقُ الشَّمْسُ في خُصُلاتِكِ
أَوْ
تَتْرُكُ الشَّمْسُ فيها صَفاءً عَجيبًا
وَتَسْتَسْلمُ الأَرْضُ لِلضَّجَّةِ الهادِئَهْ/
وَجْهُكِ المسْتَكينُ إِلى الصَّمْتِ
حَقْلُ بَخورٍ
يَمُرُّ عَلى حَيْرَتي البادِئَهْ
وَجْهُكِ الصَّعْبُ أَسْهَلُ مِنْ لَيْلَكٍ حائِرٍ
رَماهُ الزَّمانُ عَلى مُقْلَتَيَّ
فَأَرْداهُما/
وَجْهُكِ الآنَ رائِحَةٌ
مِنْ ضِياءٍ وَنورْ
تُعانِقُ فِيَّ الخَلايا
وَتَتْرُكُني ذاهِلًا عِنْدَ بابِ الدُّهورْ.

وَجْهُكِ الصَّمْتُ حِينَ يَصيرُ الصّدى
لُغَةً
وَيَصيرُ المدى
سَقْطَةً
في فّضاءٍ مِنَ الحُلْمِ يَرْشَحُ فيهِ البَخورْ...

***

تَغْرَقُ الشَّمْسُ في خُصُلاتِكِ
أَوْ
تَتَحرَّكُ فيكِ
وَتَلْثُمُ عَيْنَيْكِ حَتّى تَذوبَ/
وَلَكِنْ
لِماذا تُحَرِّضُكِ الدَّهْشةُ الآسِرَهْ
وَتُلْقي بِعَينَيْكِ، ذَاهِلَتَينِ،
عَلى أَرْضِيَ المقْفِرَهْ؟
لِماذا

إِذا رَكَعَتْ مُهْجَتي في سُهولِ صَداكِ
لَمَمْتُ حُطامي
كَأَنَّ الزَّمانَ تَفَجَّرَ بَيْنَ عِظامي
وَلَفَّ احْتِراقَ البُكاءِ مَدينَتِيَ الآسِرَهْ؟
لِماذا
إِذا عُدْتِ مِنْ رِحْلَةِ العِشْقِ في آخِرِ المسْتَحيلِ
تَفَتَّحَ في الصَّمْتِ صَبْرٌ عَريقٌ
وَهَبَّتْ عَلى العِشْقِ عاصِفَةٌ ذَهَبِيَّهْ
وَفَجَّرَني هاتِفٌ
خارِجٌ مِنْ دُموعٍ عَصِيَّهْ؟
آهِ، كَيْفَ إِذًا لا أَطيرُ دُخانًا
يُعانِقُ عَيْنَيْكِ
حَتّى يَصيرَ المدى حُلُمًا
نِمْتِ فيهِ،
وَصارَ سَناكِ بِهِ أَبْجَدِيَّهْ؟

***

تَغْرَقُ الشَّمْسُ في خُصُلاتِكِ/
لا شَيْءَ غَيْرَ الصَّفاءْ
لا يَمُرُّ عَلى ضَفَّتَيْكِ
سِوى عَبَقٍ رائعٍ في بَخورِ الضِّياءْ.
تَغْرَقُ الشَّمْسُ في خُصُلاتِكِ
مِثْلَ عَبيرِ التَنَسُّكِ في عِشْقِيَ المتَناثِرِ/
آهٍ...
تَمُرُّ الشُّجونُ بِعَيْنَيكِ –
عَيْناكِ كَفّارةٌ للشُّجونْ
وَخَدّاكِ مُحْرَقَتانِ
إِذا خَجِلَتْ لُغَتي
أَوْ طَواها السُّكونْ...
أَمُرُّ عَلى وَجْهِكِ المخْتَفي
في ضَبابِ الظُّنونْ
لِأَطْرُدَ وَقْعَ الزَّمانِ الَّذي اقْتَحَمَ العُمْرَ،

لَكِنَّني أَتَكَسَّرُ مِثْلَ الصَّدى
وَيَطيرُ رَذاذي عَلى شَفَتيكِ
حُروفًا مِنَ النّورِ تَحْنو عَلَيْكِ
لِنَحْلُمَ في مَلَكوتِ الجُنونْ...

٢٣/ ٢/ ٢٠٠٥

عِشْق

– ١ –

مُتَدَثِّرًا بحَنينيَ الشَفَقِيِّ
أَخْرُجُ مِنْ دَمي
وَأَطيرُ مِنْ عَيْنَيْكِ مُحْتَرِقًا بِنورْ –
ما أَرْوَعَ النّيرانَ تَأْكُلُني
وَتَتْرُكُ في رَمادي
جَمْرَةَ العِشْقِ الَّذي
حَمَلَتْهُ رائِحَةُ العُطورْ!

مُتَدَثِّرًا بكِ
أَمْسَحُ الدُّنْيا
بِأَضْواءِ العُصورْ!

– ٢ –

كُنْتِ الأَريجَ المسْتَقِرَّ عَلى رُؤايَ:

مَنِ الَّذي اخْتَرَعَ الكَلامْ؟
أَنْتِ الكَلامُ
وَأَنْتِ ما بَثَّتْهُ أَحْلامِي عَلى شَفَتَيَّ
في عَبَقِ الظَّلامْ...

أَنْتِ العَوالِمُ كُلُّها
وَسِواكِ في عَيْنَيَّ أَشْباحٌ حُطامْ.

- ٣ -

أَلعِشْقُ يَنْهَشُني
كَنُورٍ يَغْمُرُ الآبادَ بِالنُّسْكِ الرَّقيقْ
وَأَنا بَخورٌ فَوْقَ مَذْبَحِهِ
يُهامِسُهُ
وَيَفْضَحُ شَوْقَهُ وَجْدٌ عَتيقْ —

كُنْتِ الطَّريقَ،

وَكُنْتِ لَوْنَ الحُلْمِ
فِي أَلَقِ الطَّرِيقْ.

– ٤ –

لَيْلٌ عَلى عَيْنَيْكِ،
وَالضَّوْءُ المشِعُّ
يَفورُ مِنْ نَبْضِ المسامْ —
أَللهُ، كَيْفَ تَجَمَّعَتْ شَمْسٌ وَلَيْلٌ فيكِ
كَالحُلُمِ الَّذي اخْتَرَقَ العِظامْ!
أَتُراكِ رائِحَةَ المحالِ
وَقَدْ تَنَزَّلَ فِي جَسَدْ
عِشْقًا يُلَخَّصُ فيهِ
تاريخُ الأَبَدْ؟
أَتُراكِ بَوْحًا فَرَّ مِنّي
لا تُجَسِّدُهُ اللُغاتُ
وَلا يُلَخِّصُهُ الكَلامْ؟

- ٥ -

نامي عَلى عَيْنَيَّ
وَاخْتَصِري المسافَةَ في دَمي —
لا شَيْءَ غَيْرُكِ في مَدايَ
وَلا حُروفَ سِواكِ تَخْرُجُ مِنْ فَمي.

١٠/ ٣/ ٢٠٠٥

مرور

- ١ -

يَمُرُّ عَلى جِلْدِكِ اللَيْلُ
مِثْلَ وِشاحٍ مِنَ الحُلْمِ
وارى بِهِ الزَّمَنُ الذِّكْرَياتْ،
وَيَنْفَلِشُ السَّحَرُ المطْمَئِنُّ عَلى وَجْهِكِ البَرْبَرِيِّ
حُقولًا مِنَ الكَرَزِ المتَوَحِّشِ،
رائِحَةً مِنْ سَديمِ الحَياةْ...
يَمُرُّ عَلى جِلْدِكِ اللَيْلُ،
يَلْهَثُ حَتّى يَصيرَ... رَذاذًا،
وَحَتّى كَأَنَّ المدى
يَتَناثَرُ في مُقْلَتَيْكِ حُقُولًا مِنَ الأُقْحُوانْ...
تَلاشَيْتُ في وَهْجِكِ الصَّعْبِ
رائِحَةً مِنْ بَخورِ اليَقينِ
وَأُنْشودَةً مِنْ لُبانْ...

تَناثَرْتُ فيكِ شَظايا،
وَعادَ المدى خَطْرَةً
في اشْتِعالِ الزَّمانْ...

- ٢ -

أَمُرُّ عَلى شَفَتَيْكِ كَلَفْحِ السَّحَرْ
وَأَنْداحُ رائِحَةَ اللُغَةِ البِكْرِ
في غَمْغَماتِ المطَرْ —
تُراني تَشَظّيتُ داخِلَ فَجْرِكِ
حَتّى ارْتَفَعْتُ...
بُخارًا يَمُدُّ يَدَيْهِ
لِيَلْثُمَ وَجْهَ السَّماءْ
وَيُعْلِنَ أَنَّ مَصيرَ البَهاءْ
يَنامُ عَلى لَوْنِ خَدَّيْكِ
في مِهْرَجانِ الصُوَرْ؟

- ٣ -

أَمُرُّ عَلى شَفَتَيْكِ كَخاطِرَةِ العُشْبِ
أَوْ...
كَالصَّدى...
وَأَغْرَقُ في صَوْلَجانِ الضِّياءْ
كَأَنّي أُسافِرُ عَبْرَ صَفاءِ المدى
وَأَزْرَعُ في شَفَتَيْكِ حُقولَ الصَّفاءْ
وَوَعْدَ الجُذورِ الَّتي أَرَّخَتْ لِلثَّرى عُمْرَه
وَهْوَ يَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ تَعَبَ الكِبْرِياءْ...

أَمُرُّ عَلى شفَتيكِ كَضَوْءِ القَمَرْ
وَيَنْفَجِرُ الحُلْمُ أُنْشودَةً وَمَطَرْ،
وَأَغْدو رَحيلًا إِلى وَجْهِكِ البَرْبَرِيِّ
كَأَنَّ المدى صارَ لَغْوًا،
وَصارَ اشْتِعالُ المدى أَبْجَدِيَّهْ —
لَأَنْتِ الحُروفُ الَّتي رَكَّبَتْ لُغَةَ الفَجْرِ

أَوْ لُغَتي...

مِنْ حُقولِ السَّنا الفُسْتُقِيَّهْ...

وَأَخْمَدْتِ وَهْجًا عَلى النّارِ

ثُمَّ اشْتَعلْتِ...

فَلا وَهْجَ بَعْدُ،

وَلا لُغَةً أَوْ قَضِيَّهْ...!

***

أَمُرُّ عَلى جِلْدِكِ الرَطْبِ

كَالرَّعْشَةِ المسْتَحيلَةِ

أَوْ كَلِسانٍ مِنَ العِطْرِ

يَغْرَقُ في مَهْمَهٍ...

وَإِذا أَقْفَرَتْ كُلُّ دَرْبٍ

وَلَمَّ صَقيعَ المدى العابِرونْ

لَمَحْتُ بِعَيْنَيْكِ أَشْلاءَ هَذا المدى المتَشَظّي

وَكَوَّنْتُ كَوْنًا مِنَ الجَسَدِ المتَفَتّحِ

فِي طاقَةِ الحُلْمِ
أَبْعَدَ مِنْ لُغَةِ الحُلْمِ
أَوْ رَعْشَةِ الكِبْرِياءْ...
وَكَوَّنْتُ مِنْكِ سَماءً
وَدَرْبًا تَطيرُ بِنا
نَحْوَ بابِ السَّماءْ...

***

أَمُرُّ عَلى جِسْمِكِ الرَّطْبِ أُنْشودَةً
وَيَصيرُ المدى حُلُمًا
يَتَوَهَّجُ في فُسْحَةٍ...
مِنْ بَهاءْ!

مَقامات العاشق

١ — مقام

– أ –

تَنْزِلينَ إِلَيَّ في تَجَلّي الأَلَقِ/
في صَوْتِكِ الأَثيرُ
في عَيْنَيْكِ هُجوعُ اللَيْلِ
وَبَيْنَ مَسامِّكِ الضَّوْءُ/

لا شَيْءَ... لا حِجابَ/
عَبَقُ أَلْوانٍ
بَيْني وَبَيْنَ بابِ السَّماءِ
وَمِهْرَجانٌ مِنَ الانْخِطافِ.

– ب –

تَأْتي إِلَيَّ مِنْ سِرِّ الصَّوْتِ
بِكْرًا كَالكَلامِ
صافِيًا كَضَوْءِ التَّجَلّي/

تأتي إِلَيَّ مِنْ أَهازيجِ القَصائِدِ
وَتَرانيمِ الفَرَحِ الصّاعِدِ مِنَ الرُّؤْيا/
وَتُشْعِلُني كَالوَرَقِ الرَّقيقِ/
تَكْسِرُني كَالرَّعْشَةِ العارِمَةِ
وَمَعَ ذَلِكَ
تَسْكُنُني صَمْتًا وَصَخَبًا
وَأَرَجًا عابِقًا في دَمي.

٢ — مقام

– أ –

تَسْكُنينَ لَحْظَتي كَالأَبَدِ
وَكَالأَبَدِ تُشْرِقينَ مِنْ زَمَني
لَكِنَّني
أَسْتَوْدِعُكِ كِياني
في مِهْرَجانِ الرَّحيلِ الذّاهِلِ
وَأَغيبُ...

أَيَّتُها النّائِمَةُ على قَصيدَتي
كَالشُّعْلَةِ الرّائِعَةِ.

– ب –

أَنامُ عَلى عَيْنَيْكَ

هَمْسًا بَعيدًا كَالوَحْيِ المشْرِقِ/

أَحْمِلُكَ إِلَيَّ

فِي أَهازيجِ اشْتِعاليَ الصّامِتِ

وَفِي انْفِجارِ التَّوْقِ تَحْتَ جَليدِ السِّنينَ/

أَحْمِلُكَ إِلَيَّ

صَدًى لِلْماضي وَالآتي

وَأَطْرافِ المكانِ.

أَيُّها السّاكِنُ في دَمي

كَالقَصيدَةِ المشْتِعِلَةِ.

٣ — مقام

– أ –

قَرارَتي غِلالَةٌ تَشِفُّ عَنْكِ
وَأَنْتِ الضَّوْءُ
كُلَّما سَمَوْتُ إِلَيْهِ انْكَسَرْتُ
وَكُلَّما انْكَسَرْتُ انْكَشَفْتُ لَكِ/
رَذاذٌ... رَذاذٌ...
تَنهَلّينَ عليّ كالمطر
وتُعشِبينَ أرضي.

طوبى لَكِ
أَيَّتُها القَطْرَةُ الَّتي قَصَّفَتْ كِياني
لِتَسْكُنَني.

– ب –

وَجْهُكَ المدارُ
وَأَنْتَ انْخِطافُ الكِيانِ إِلى ما وَراءَ الكِيانِ،
انْخِطافُ القَلْبِ إِلى الأَشِعَّةِ المرْمَرِيَّةِ/

وَجْهُكَ المدارُ:
لا شَيْءَ سِواكَ
بَيْنَ عُروقيَ المرْتَعِشَةِ
حَتّى الفَرَحِ،
بَيْنَ جَوانِحيَ المتَحَلِّلَةِ
كَضَوْءِ الأَثيرِ.

طوبى لَكَ
أَيُّها الضَّوْءُ الحامِلُ أَعْماقي إِلَيْكَ.

٤ — مقام

– أ –

أَكْتُبُكِ قَصيدَةَ تَوَحُّدٍ في تَفَكُّكِ الزَّمانِ القَديمِ/
وَعِنْدَما أَدْخُلُ إِلَيْكِ أَسْتَعيدُكِ مِنْ غِيابي/
أَحْتَرِقُ فيكِ/ أَنْهَضُ/ أَطيرُ إِلى عُلُوِّ النّورِ/
أَقْرَأُ السَّديمَ وَلَيْلَ العُيُونِ الصامِتَةِ/
وَمَعَ ذَلِكَ
يُحاصِرُني الغِيابُ.

لِماذا إِذًا
أُسَوِّرُكِ بِالفَجْرِ
وَأَرْقُصُ داخِلَ أَسْوارِكِ؟

– ب –

تَنامُ عَلى عَيْنَيَّ عِنْدَما يَسْتَسْلِمُ اللَيْلُ لي
وَتَحْمِلُني إِلى فَضاءاتِ العِشْقِ/
تَنْمو فِيَّ/
تَتَمَدَّدُ كَأَريجِ البَخورِ/ تُحاصِرُ قَلْبي/
تُحاصِرُ تَوْقي/ تُحاصِرُني/
وَأَتَقَلَّصُ... كَالضَّبابِ المنْسَحِبِ عَلى التِّلالِ
أَوْ
كَانْتِهاءِ الصّلاةِ
لِأَسْكُنَ قَرارَكَ البَعيدَ.

أَيُّها العاشِقُ
يا صَدى مُهْجَتي المتَأَجِّجَةِ مِنْ ثَلْجِها.

٥ — مقام

– أ –

أَبْدَأُ البَوْحَ مِنْ ضَوْءٍ يَنْخَطِفُ إِلَيْكِ/

أَنْظُرُ إِلَيْكِ مِنْ عُلُوِّ النّورِ
بَيْنَ الحُضورِ وَالغِيابِ
عِنْدَما يَصيرُ العالَمُ سَكْرَةً
وَالعِشْقُ خَمْرَةً لِلشِّعْرِ
وَأَنْكَسِرُ فيكِ
مِثْلَ صاعِقَةٍ تَتَشَتَّتُ بَيْنَ المسامِّ.

أَبْدَأُ البَوْحَ مِنْ ضَوْءٍ يَنْخَطِفُ إِلَيْكِ
وَلا يَعودُ...

– ب –

أَسْتَسْلِمُ لَكَ عارِيَةً مِنْ جَسَدي
كَالنّورِ أَوْ كَالرَّحيلِ –
وَجْهُكِ عالَمي/ وَجْهي عَالَمُكَ/
وَلَكِنْ
كَيْفَ يَجْمَعُنا هَذا العِشْقُ الآسِرُ
وَالزَّمَنُ ما زالَ يَرْتَفِعُ كَالصّارِيَةِ
خارِجَ أَسْوارِنا؟

أَسْتَسْلِمُ لَكَ
عارِيَةً كَالضَّوْءِ الَّذي يُضيءُ الجَسَدَ.

٦ — مقام

– أ –

أَمُرُّ عَلى جَسَدِكِ المضيءِ
كَنَسْمَةِ الرَّبيعِ الَّتي تَخْطِفُ الضَّوْءَ
وَتَسْفَحُ الأَريجَ عَلى لَيْلِ عَيْنَيْكِ/
أَمُرُّ عَلى جَسَدِكِ المضيءِ/
أَغْتَسِلُ بِكِ
كَما يَغْتَسِلُ النّورُ في بَراعِمِ الشَّجَرِ/
أُعَمِّدُكِ بي/
أَحْمِلُكِ إِلى أَرْضِ الشِّعْرِ/
أَكْتُبُكِ/
أَجْبُلُكِ بِالسَّديمِ
وَأَعْجُنُكِ بِنَزيفِ الكَلِماتِ.

- ب -

أَقْرَأُ جَسَدَكَ حَرْفًا حَرْفًا
كَقَصيدَةٍ تَضْطَرِبُ عِنْدَ حافَّةِ الرُّؤْيا
وَتَكْتُبُكَ في عَيْنَيَّ
شَرارَةً تَخْتَرِقُ الزَّمانَ إِلى زَمانٍ جَديدٍ/

أَقْرَأُ جَسَدَكَ كَالكِتابِ المفْتوحِ.
وَعِنْدَما أَغيبُ في نَشْوَةِ اللِقاءِ
أَحْتَرِقُ/ أُولَدُ/
أَخْرُجُ مِنَ الرَّمادِ كَرَذاذِ النّورِ
وَأَطيرُ نَحْوَ مَقاماتِكَ المفْتوحَةِ.

أَيُّها الخارِجُ مِنْ رَمادِ الوَقْتِ،
ماذا فَعَلْتَ بي؟

٧ — مقام

– أ –

هَذا مَقامُ الكَشْفِ/
فَٱخْرُجي إِلَيَّ مِنْ ضَبابِكِ الرَّقيقِ
وَارْتَجِفي كَوَرَقِ الخَريفِ
أَوْ... فَاسْتَسْلِمي/
بَيْني وَبَيْنَكِ انْخِطافٌ طَويلٌ.
بَيْني وَبَيْنَكِ أَلَقٌ وَرَحيلٌ.
لَكِنْ تَخْرُجينَ مِنّي دائِمًا
كَنَزيفِ الزَّمانِ —
فَآهِ، اسْتَسْلِمي.

هَذا مَقامُ الكَشْفِ/
فَاسْتَيقِظي في جِلْدي
وَأَيْقِظيني.

– ب –

أَلُفُّكَ بِضَوْئي/ أَلْتَفُّ بِضَوْئِكَ/
أكشفُكَ/ انكشِفُ لكَ/
هَذا مَقامُ الكَشْفِ/
وَعِنْدَما نَرْتَفِعُ إِلى دَرَجَةِ التَّوَحُّدِ
نَبْرُقُ كَتَداخُلِ الأَلْوانِ في خُيوطِ الشَّمْسِ
أَوْ
كَاحْتِراقاتِ العَبيرِ عَلى نارِ الذُّهولِ/

أَلُفُّكَ بِضَوْئي/ أَلْتَفُّ بِضَوْئِكَ/
نتَساكَنُ في أَهازيجِ النّورِ المنْكَشِفَةِ –
لا شَيْءَ إِلّا أَنْتَ
لا شَيْءَ إِلّا أَنا
في انْتِهاءِ المدى وَالزَّمانِ.

٨ — مقام

– أ –

أَحْتَرِقُ فِيكِ
وَأَرْتَفِعُ بَخورًا إِلى عَلُ
لِأُمَجِّدَكِ
وَأَتَمَجَّدَ/

أَحْتَرِقُ فيكِ
وَأَحْرُقُكِ
لِنَتَوَحَّدَ في بَخورِ الانْخِطافِ.

- ب -

أَحْتَرِقُ فيكَ

وَأَرْتَفِعُ مَعَكَ كَالبَخورِ الذّاهِلِ/

طوبى لَنا

طوبى لَنا

في اشْتِعالِنا وَارْتِفاعِنا،

في تَوَحُّدِنا الرّائِعِ حَتّى الذُّهولِ.

طوبى لَنا.

٢٠ – ٢١/ ٣/ ٢٠٠٥

وعد

تَنْزِلُ الشَّمْسُ إِلى عَيْنَيكِ سَكْرى
مِنْ عَناقيدِ التَّعَبْ
وَتُلاقي وَجْهَكِ المعْجونَ بِالفَجْرِ
وَقَدْ غارَتْ عَلى خَدَّيْهِ
آهاتُ القَصَبْ...
تَنْزِلُ الشَّمْسُ لِتَغْفو
بَيْنَ كَفَّيْكِ/ وَلَكِنْ
كَيْفَ نَبْني مِنْ أَساطيرِ اللَيالي
وَجْهَها السّاحِرَ
وَاللَيْلُ إِذا مَرَّ عَلى آفاقِكِ الحَرّى احْتَرَقْ؟
تَنْزِلُ الشَّمْسُ إِلى عَيْنَيْكِ
خَجْلى مِنْكِ
تُخْفي خَدَّها الذّاهِلَ
في لَوْنِ الغَسَقْ/

يَرْحَلُ الصَّمْتُ بِحَلْقي
وَيُغَنّي الحُلْمُ في آفاقِهِ عَنّي
كَأَنّي
نَسْمَةٌ قَلَّدَها النّورُ
إِشاراتِ الأَبَدْ
وَتَسامَتْ فَوْقَ خَدَّيْكِ
ضَبابًا أَبْيَضًا
ثُمَّ ارْتَمَتْ فَوْقَ الجَسَدْ.
كانَ صَوْتي نابِضًا
لِلْفَرَحِ الطّافِرِ مِنْ جِسْمِ الزَّمانْ:
صِرْتُ غَيْمًا راحِلًا في حَقْلِ عَيْنَيْكِ،
سُلالاتٍ مِنَ الأَسْماءِ أَرْويها
وَلَكِنْ
يَسْتَمِرُّ الظَّمَأُ الخارِجُ مِنْ عَيْنَيكِ
في صَمْتِ المكانْ...

***

تَخْرُجُ الشَّمْسُ مِنَ الأُفْقِ إِلَيْكِ
عاشِقًا يَمْسَحُهُ التيْهُ عَلى حُلْمٍ
بِحَجْمِ العاشِقينْ،
وَيَنامُ القَمَرُ التّائِهُ في أَحْلامِهِ
بَيْنَ يَدَيْكِ —
كُنْتُ مِثْلَ الرّيحِ في ذاكِرَةِ الأَشْياءِ تُؤْويني إِلَيْها/
غَيْرَ أَنّي
ضائِعٌ في فَجْرِ عَيْنَيْكِ
أَرى الأَشْياءَ غابَتْ في عُيوني
وَانْطَوى اللَيْلُ،
وَغابَ الصُّبْحُ عَنّا،
وَتَوارَتْ في الضَّياعِ الخَطَواتْ —
كَيْفَ لي
أَنْ أَغْسِلَ الشَّمْسَ الَّتي تَخْرُجُ
مِنْ لَفْتَةِ خَدَّيْكِ

وَقَدْ ضَيَّعَني النّورُ
وَضاعَتْ في ذُهولي الكَلِماتْ؟

هِيَ ذي الأَرْضُ عَلى عَيْنَيْكِ
وَعْدٌ بِالحَياةْ.

١٠/ ٣/ ٢٠٠٥

فهرس المحتويات



أَللهُ، كَيْفَ تَجَمَّعَتْ شَمْسٌ وَلَيْلٌ فيكِ
كَالحُلُمِ الَّذي اخْتَرَقَ العِظامْ!
أَتُراكِ رائِحَةَ المحالِ
وَقَدْ تَنَزَّلَ في جَسَدْ
عِشْقًا يُلَخِّصُ فيهِ
تاريخُ الأَبَدْ؟
أَتُراكِ بَوْحًا فَرَّ مِنّي
لا تُجَسِّدُهُ اللُغاتُ
وَلا يُلَخِّصُهُ الكَلامْ؟